مجلة الدراسات التاريخية
المجلد 26 العدد 01 السنة 2025 ص14 ص37
E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707

مدينة سيتيفيسsetifis الأثرية - قراءة في التطور التاريخي والدور الحضاري في الجزائر القديمة

The ancient city of Setifis - a reading of the historical development and cultural role in ancient Algeria

طويل عماد
جامعة محمد لمين دباغين سطيف2
touilimad429@gmail.com

تاريخ الارسال: 2025/08/26 تاريخ القبول: 2025/10/14 تاريخ النشر: 2025/12/18

Abstract:

Researching the history of cities is one of the most important historical topics that enables researchers to understand the cultural life of a particular city or region. Researching the history of cities, their role, and their development in the ancient Maghreb is one of the most difficult historical and archaeological research, especially in the period preceding the Roman occupation of the ancient Maghreb. This is due to the obliteration and destruction they suffered as a result of the Roman settlement policy pursued in the region. Among the

important strategic cities to study in the ancient Maghreb is the historic city of Setifis.

طويل عماد.
touilimad429@gmail.com

Keywords: City, sitifis, Evolution, Role, Romans.

الملخص:

البحث في تاريخ المدن من أهم المواضيع التاريخية التي تمكن الباحث من فهم الحياة الحضارية لمدينة أو منطقة معينة، والبحث في تاريخ المدن ودورها وتطورها في بلاد المغرب القديم من أصعب البحوث التاريخية و الأثرية خاصة في الفترة التي تسبق الاحتلال الروماني في بلاد المغرب القديم، ذلك لما تعرضت له من طمس وتخريب بفعل سياسة الاستيطان الروماني المنتهجة في المنطقة.

و من المدن الإستراتيجية الهامة للدراسة في بلاد المغرب القديم نجد مدينة سيتيفيسsetifis التاريخية، وذلك للدور الحضاري الذي كانت تلعبه عبر العصور التاريخية القديمة ، انطلاقا من ذلك كان موضوع مداخلتنا بعنوان مدينة سيتيفيسsetifis الأثرية – قراءة في التطور التاريخي والدور الحضاري في الجزائر القديمة .

الكلمات المفتاحية: المدينة ، سيتيفيس، التطور، الدور، الرومان.

1. مقدمة:

عرف تاريخ بلاد المغرب القديم توافد عدة شعوب وحضارات على المنطقة، أدى ذلك إلى تمازج حضاري بين مختلف الشعوب الوافدة و السكان المحليين، كان لهذا التوافد تأثير كبير على الحياة اليومية للسكان، من بين الشعوب التي استوطنت المنطقة نجد الفينيقيين وبعدهم الرومان، أدى استيطان هذا الأخير إلى تلاشي واختفاء الحياة الحضارية المحلية في المنطقة وظهور حياة أخرى نشأت

بفعل السياسة الاستيطانية الرومانية المنتهجة خاصة في المناطق الساحلية و الداخلية و السيطرة على المدن لتجسيد الهيمنة والاستعمار.

و من المقاطعات التي توسع عليها الاحتلال الروماني نذكر المقاطعة السطايفية التي شملها السيطرة منذ بداية الاحتلال الروماني الفعلي لبلاد المغرب في القرن الأول للميلاد، ومن المدن التي تم التركيز عليها والاستيطان فيها مدينة سيتيفيس، التي اتخذت كمقر سياسي وإداري وعاصمة للمقاطعة السطايفية منذ تأسيسها إلى نهاية الاحتلال الروماني وتم اتخاذها مقرا للحكم ولإقامة القنصل فترة الاحتلال البيزنطي .

ولدراسة التطور التاريخي والحضاري لمدينة سيتيفيس كان علينا الرجوع إلى دراسة تاريخ المقاطعة السطايفية قبل الاحتلال الروماني لكن ذلك لم يفدنا في شيء لشح المادة العلمية والأثرية التي تتحدث عن المنطقة قبل الاحتلال الروماني، وانطلاقا من ذلك سنحاول البحث عن تاريخ مدينة سيتيفيس والدور الحضاري الذي لعبته في المنطقة في الفترة الرومانية الوندالية والبيزنطية ومن ذلك نطرح الاشكال التالي: **فيما يكمن الدور الحضاري الذي لعبته مدينة سيتيفيس في بلاد المغرب القديم ؟ متى تأسست المدينة وكيف تطورت ؟ وما هو دور المدينة في المقاطعة السطايفية؟**

وللموضوع أهمية كبيرة كونه يعالج مقاطعة اقتصادية مهمة في تاريخ بلاد المغرب كانت الرابط بين مختلف المقاطعات والمدن الرومانية الشرقية و الغربية وحتى الشمالية منها و الجنوبية ، ورغم حداثة المقاطعة السطايفية في التقسيم

الروماني إلا أنها كانت من أهم القاطعات بالنسبة للاحتلال الروماني، والتي من أهم مدنها مدينة سيتيفيس التي كانت مقرا للسلطة وللحاكم الروماني في المقاطعة .

2 - لمحة عن مدينة سيتيفيس (التسمية والموقع)

من أقدم التسميات التي نعرفها عن مدينة سطيف هو اسم "أزديف" ويعتقد الكثير من الباحثين أن أصل المصطلح أمازيغي محلي ويعني التربة السوداء، كانت القبائل التي تسكن مدينة ستيفيس تنتمي لقبائل المازيسيل(نوميديا الغربية) في فترة حكم الملك النوميدي صيفاكس التي كانت تمتد مملكته من الواد الكبير شرقا إلى واد الملوية غربا [1].

ورد اسم مدينة سطيف في النقوش اللاتينية بعدة مصطلحات فقد ورد اسم سيتيفيسsitifis في الكثير من النقوش اللاتينية وورد عند اميانوس ماركيلينوس Ammianus Marcellinus باسم سيتيفيم sitifim ، ونجده في دليل رحلة انطونيوس اوغسطوس Itinerarium Autonini Augusti وفي لوحة بوتنجر Tabula Peutingeriana ورد اسم المدينة باسم sitifi لكن الاسم الغالب والمشهور عند المؤرخين و الجغرافيين القدامى هو مدينة سيتيفيس sitifis [2].

أما تاريخ تأسيس المدينة فيرجع إلى فترة حكم الإمبراطور الروماني نيرفا Nervaمابين 97-98م لتوطين الجنود الرومان المسرحين من الخدمة العسكرية، حضيت في هذه الفترة برتبة المدينة الرومانية وأطلق عليها اسم سيتيفيس Sitifis ، وهو الاسم الذي حملته المدينة طيلة فترة الاحتلال الروماني، حيث وردت في نقش عثر عليه غرب المدينة وهو نفس التسمية التي عثر عليها في نقش إهدائي آخر وردت باسم

Colonia [3]Nerviana augusta Martialis Veteranorum Sitifensium تحت رعاية الإله مارسMars وأطلت عليها تسميات أخرى نذكر منها : مستعمرة نيرفانيا ، اوغيستانا ، مارسياليس، فيتيرانوروم،ستيفيوم....الخ[4].

ومن المدن الأكثر اتساعا في المقاطعة السطايفية نجد كل من مدينة سيتيفيس و جميلة، أما البقايا الأثرية التي لا تزال تحافظ على نمط المدينة ومعالمها فنجدها كاملة في مدينة جميلة لأنها لم تتعرض للتوسع العمراني على حسابها، في حين نجد أن مدينة سيتيفيس أكثر اتساعا من مدينة جميلة لكن المنشآت العمرانية بها تعرضت للتخريب و الردم خاصة مع التوسع العمراني الذي شهدته المدينة في فترة الاحتلال الفرنسي[5].

تحتل مدينة ستيفيس موقعا جغرافيا ممتازا في شمال إفريقيا فهي نقطة وصل بين الشرق و الغرب، وقد اختارها الرومان كمدينة داخلية أساسية تربط بين مختلف المقاطعات والمدن الرومانية في بلاد المغرب، كما أن موقعها الجغرافي ضمن سهول الهضاب العليا المحصورة بين سلسلتي الأطلس التلّي في الشمال والأطلس الصحراوي في الجنوب جعل منها ركيزة اقتصادية في إنتاج الحبوب وتربية الحيوان وهو ما لفت انتباه الرومان إليها وجعلهم يؤسسون مدينة بها، وبما أن مدينة ستيفيس محاطة بسلسلة من الجبال نجد جبال البابور في الجهة الشمالية

وجبال الحضنة في الجهة الغربية فهي بذلك محصنة طبيعيا يسهل التحكم فيها والسيطرة عليها والتصدي للحملات والهجمات المحلية التي قد تطال المدينة[6] .

يشكل موقع مدينة سطيف وحدة جغرافية متكاملة وذلك لتنوع التضاريس الطبيعية والمناخ فهي قريبة من الساحل في جزئها الشمالي من جهة ايجيجلي وصلداي وتتوفر على قطاع تلي بما في ذلك الهضاب وهي الخاصية التي تتميز بها كامل المناطق المحيطة بالمدينة (سطيف) وفي جنوب المدينة نجد منطقة الحضنة والتي هي بمناخ شبه صحراوي وجاف، وعليه فالمقاطعة السطايفة يسودها المناخ المتوسطي بالشمال والمناخ القاري شبه الجاف بالجنوب وهو ما ساعد على التمدن و الاستقرار و الازدهار الاقتصادي[7].

3- تطور المدينة

3-1- الفترة الرومانية

تم تأسيس مدينة ستيفيس من طرف الإمبراطور الروماني نيرفا أواخر القرن الأول للميلاد 97-98م، وكانت في البداية مقرا للسكن بالنسبة للجنود المتقاعدين وقد اهتم الرومان بمدينة سيتيفيس نظرا لموقعها الجغرافي الممتاز الذي يسيطر على السهول والهضاب العليا الشاسعة والغنية بالقمح، وتوفرها على حقول كبيرة للمياه الجوفية، وموقعها الإستراتيجي عند سفح جبل بابور، التي كانت مناسبة للمقاومة ونقطة انطلاق للثورات ضد الرومان.

ومع أواخر القرن الثالث للميلاد قام الإمبراطور الروماني دقليديانوس بإعادة تقسيم بلاد المغرب أين تم فصل موريطانيا القيصرية عن موريطانيا السطايفية التي أصبحت تعرف باسم la Mauritanie Sitifienne ou Tabienne وقد تم ذلك

مابين 288-297م ، انحصرت حدود المقاطعة السطايفية مابين الواد الكبير شرقا وصلداي شمالا وموريطانيا القيصرية غربا و الحضنة جنوبا[8].

و مع بداية التوسع العمراني للرومان اتخذ الرومان من سيتيفيس مراكز عسكريا تطورت فيما بعد لتصبح مدينة، وبنهاية القرن الثالث الميلادي ارتقت مدينة سطيف لتصبح عاصمة لموريطانيا السطائفية، والتي مكنتها من استقلالية إدارية انعكست على الجانب الاقتصادي في صبغة محلية ودولية أوصلها إلى التحكم في التبادل التجاري وبخاصة الحبوب المعروفة بها المدينة .

كان في مدينة سيتيفيس في الفترة الرومانية جهاز إداري يسهر على تسيير شؤون المدينة، فقد زودت المدينة منذ نشأتها بمجلس إداري يقوم بتسييرها تمثلت مهمته في إصدار المراسيم المتعلقة بإقامة تمثال للإمبراطور أو للأشخاص الذين كان لهم فضل في المدينة وكذا المراسم التي تنص على إنشاء بنايات وترميم المنشآت العامة والتي تتولى المدينة دفع مصاريفها زيادة على تعيين الموظفين وجباية الضرائب، يضم مجلس مدينة سيتيفيس مائة ديكوريون Decuriones (عضو في مجلس المدينة) وقد يزيد العدد أو يقل حسب تطور تعداد سكان المدينة[9].

3-2- الفترة الوندالية

لا نملك في المصادر دليل أو إشارة تؤكد أن مدينة سطيف خضعت لسلطة الوندال في شمال إفريقيا أثناء عملية التنقل الوندالي من الغرب إلى الشرق وربما تم التنقل عبرها، وأثناء الاستقرار الوندالي بهيبون ريجيوس(عنابة) سنة 432م كانت مدينة سيتيفيس خاضعة خضوعا مؤقتا ربما استمر إلى غاية سيطرة الوندال على العاصمة قرطاج والاستقرار فيها سنة 439م أين أصبحت المدينة تابعة لسلطة روما أو سيطرت عليها القبائل المورية المحلية[10] .

هناك من المؤرخين من يقر أن مدينة ستيفيس تعرضت للتدمير و التخريب من طرف الوندال وبقيت كذلك إلى أن أعاد بناءها وترميمها القائد البيزنطي صولون سنة 439م الذي أعاد الحياة في المدينة بعد أن غادرها السكان الذين كانوا يعيشون فيها وذلك بعد أن أعاد بناء أسوارها وحصونها[11].

3-3- الفترة البيزنطية

استطاع القائد البيزنطي صولومون إخضاع مدينة ستيفيس للسيطرة البيزنطية في بلاد المغرب وقد قام هذا الأخير بعد القضاء على الثورات الموية في المرحلة الثانية من توسعاته 539-544م بتحصين المدينة ببناء سور يحيط بالمدينة وقلعة كبير على مساحة قدرها 1.69 هكتار وذلك حتى تسهل عملية التحكم في الطريق القادم من الغرب عند حدود جبال البيبان ومراقبة جبال القبائل الصغرى وسلسلة جبال البابور رغم أن الحدود الغربية و الجنوبية الغربية للسيطرة البيزنطية[12] تبقى غير معروفة لغياب الشواهد المادية بها إلا انه يمكن القول أن السيطرة البيزنطية لم تتعدى الأراضي الغربية لمدينة سطيف حاليا .

عرفت مدينة سطيف بنشاط مسيحي كبير في الفترة البيزنطية وذلك للاهتمام الكبير الذي أولاه الإمبراطور جوستينيان بالديانة المسيحية وبرجال الدين المسيحيين في إفريقيا خاصة بعد الاضطهاد الكبير الذي تعرض له رجال الدين المسيحيين طيلة فترة الاحتلال الوندالي، ما يؤكد النشاط المسيحي بالمدينة هو تشييد ست(06) كنائس بالجهة الشمالية الغربية ضمن حي خاص بالمسيحيين في المدينة[13].

وقد حافظت مدينة ستيفيس على مركز القيادة بموريطانيا القيصرية وعلى أهميتها ودورها الحضاري طيلة فترة الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم والى غاية القرن السادس للميلاد فترة الاحتلال البيزنطي في مساحة كبيرة قد تصل إلى أربعة ألاف متر، محاطة بسور كبير وقد تعرض هذا السور إلى الانهيار والتدمير جراء الهزة الأرضية التي كانت بالمدينة سنة419م [14].

4- دور وأهمية المدينة

4-1- الدور السياسي والعسكري

لعبت مدينة سيتيفيس دورا كبيرا في استتاب الأمن و الاستقرار في المنطقة طيلة فترة الاحتلال الروماني، كانت عند اندلاع ثورة فيرموس سنة 372م[15] مركزا لقيادة العمليات العسكرية وقاعدة مهمة في انطلاق الجيوش إلى المناطق الثائرة والى المقاطعة القيصارية التي نشبت بها العديد من الثورات المحلية في هذه الفترة

،كما كانت قاعدة عسكرية عند ثورات الحلف الخماسي التي ظهرت في جبال جرجرة وجبال البابور الذي كان ميدان للثورات في المنطقة الواقعة بين مدينة سطيف و بجاية[16].

وقد كانت مدينة سيتيفيس في كثير من الفترات معسكرا مؤقتا للفرق العسكرية الرومانية التي كانت تنتقل بين البروقنصلية وموريطانيا القيصري لإخماد الثورات التي كانت تظهر من حين لآخر، اكدت ذلك مجموع النقوش التي تم العثور عليها في المدينة، ومن الفرق الرومانية التي عسكرت او مرّت بالمدينة نجد فيلق مشاة الحضر الأول Cohors Urbana I و فيلق مشاة الاسبان وفرسانه Cohors Hispanorum equitata ، ونجد أيضا فيلق الفرسان الستابليسياني equites stablesiani[17].

ولتأمين مدينة سيتيفيس وتطوير الحياة الاقتصادية فيها ومنع الثورات التي تظهر في المدينة أو المناطق المجاورة من حين لآخر قام الأباطرة الرومان بتحصين المدينة وذلك ببناء أسوارها وقلاعها للتصدي للثورات التي كان يقوم بها السكان المحلين ، وقد اشرف والي المقاطعة سنة 227م ليكينيوس هوريكلس Licinius Hierocles على يناء أسوار خربة عين السلطان وعين الحاميات وملول وبئر حدادة وعين الحجر ، خاصة إذا عرفنا أنه في هذه الفترة ظهرت اضطرابات كثيرة بسور الغزلان Auzia سرعان ما امتدت شرارتها إلى السهول العليا السطايفية[18].

وفي فترة الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب عمل القائد البيزنطي على السيطرة على منطقة الاوراس وذلك ببناء حصون وقلاع بها لأنها كانت مركز الثورات المورية وسيطر على مدينة سيتيفيس وأعاد بناء أسوارها وحصونها للتصدي للثورات المورية القادمة من الشمال و الجنوب ولتكون همزة وصل إلى قلعة زابي

مجلة الدراسات التاريخية
المجلد 26 العدد 01 السنة 2025 ص14 ص37
E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707

جوستينيانا بالحضنة (بشلقة بالمسيلة حاليا) والتي بناها صولومون وحملت اسم الإمبراطور جوستينيان[19].

ونجد الكثير من الآثار الرومانية و البيزنطية التي تربط بين ستيفيس وباتنة حاليا وقد حاول القائد البيزنطي بناء حصون بها لكن قساوة البرد والظروف الطبيعية الصعبة و طبيعة السكان والثورات المتتالية حالت دون القدرة على السيطرة على المنطقة الأمر الذي ربما حتم على البيزنطيين إعادة بناء مدينة سيتيفيس وترميم أسوارها التي لا تزال أثارها الى اليوم شاهدة على ذلك حتى تكون مركز لإقامة الجيوش البيزنطية وقاعدة عسكرية للتصدي للثورات القادمة من الجنوب ومن الاوراس[20] .

2-4- الدّور الاقتصادي و الاجتماعي

رغم أن مدينة سيتيفيس تأسست لاستقطاب المتقاعدين من الخدمة العسكرية إلا أنها عرفت توافد واستقرار عدد كبير من السكان المدنيين من المدن المجاورة والمقاطعات الرومانية الأخرى، نتج عن ذلك أن أصبحت المدينة مزيج سكاني من السكان الأصليين المرومنين وغاليين وسوريين ومن سكان داسيا (رومانيا حاليا) ومن اليونان و سيرتا و ميلة ومداوروش وبجاية، ساهم هذا التمازج السكاني في تنشيط الحياة الاجتماعية و الاقتصادية وساعد على بناء وتطوير

المدينة أين أصبحت تلعب دروا كبيرا بين المدن المجاورة في الفترة الرومانية لا تقل أهمية عن مدينة سيرتا وقرطاج[21].

اهتمت الإدارة الرومانية منذ بداية الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم بالمناطق الاقتصادية ذات الثروة الفلاحية الكبيرة، كانت منطقة سطيف من المدن و المناطق المزدهرة اقتصاديا ، ما يؤكد ذلك الإستراتيجية العسكرية الرومانية المحكمة للسيطرة على أراضي وأقاليم موريطانيا السطايفية و السرعة لإخماد الثورات المحلية التي تظهر من حين لأخر وتوزيع الأراضي على الجنود المسرحين من الخدمة العسكرية حتى يتم الاستفادة من خبراتهم العسكرية ونشاطهم الاقتصادي .

ويظهر الموقع المهم لمدينة سيتيفيس للدور الاستراتيجي الكبير الذي كانت تلعبه باعتبارها مفترق طرق بين الجنوب و الشمال وبين الشرق و الغرب فضلا عن اهميتها الاقتصادية نظرا للسهول الواسعة التي تحيط بها فهي بذلك تشرف على السهول المحاذية لواد بوسلام وتراقب المناطق الجبلية الممتدة من القبائل الصغرى الى جبال البابور فتكون بذلك المشرف المباشر على اكبر المسالك الصعبة المؤدية للشرق و الجنوب [22]

وتكمن الأهمية الاقتصادية لمدينة سيتيفيس في كونها تتميز بخاصتين حيث تختص بزراعة الحبوب بالقسم الجنوبي خاصة القمح وهي المادة التي تحتاج إليها روما لتزويد شعوبها وجيوشها وهي من أولى الأسباب التي دفعت بروما للاهتمام بالمدينة .

كما تتميز مدينة ستيفيس بالجبال التي تشتمل على زراعة الزيتون[23] وتربية الحيوانات خاصة المواشي حيث كانت المدينة من المدن المهمة في توفير مادة الزيت

التي تصدّر إلى روما والى مختلف المدن المجاورة، وما يؤكد ذلك العدد الكبير لمعاصر الزيتون في المدينة و المناطق المجاورة لها، كما كانت توفر الكروم وهو ما زاد من استقطاب عدد كبير من المستثمرين الرومان في الرغبة في الاستقرار فيها ومزاولة نشاطهم الاقتصادي[24].

من الدلائل التي تؤكد الدور الاقتصادي وأهمية مدينة سيتيفيس هو استحواذ الأباطرة الرومان على مساحات شاسعة من الأراضي في المقاطعة السطايفية خاصة أراضي السهول العليا السطايفية وذلك بكل من الخربة الزرقة Castellum cellensis وخربة عين السلطان Castellum Citofactense وملول Castellum Thib وبئر بوسعدية Castellum Tilirvense وبئر حدادة Castellum B وعين زادا Saltus Horreorum وعين الحاميات Castellum perdices وقلال Castellum Dianense ودوار بوتار Castellum vartan وقصر الطير Castellum vanarzanense وقد قام الأباطرة بتعيين مزارعين يسهرون على تسيير وخدمة هذه الأرض[25] .

4-3- الدور الديني

لعبت مدينة سيتيفيس دورا كبيرا في تطور الحياة الدينية في المقاطعة السطايفية والمقاطعات المجاورة في الفترة الرومانية الوثنية و المسيحية فقد انتشرت في المدينة عبادة الأوثان حيث عبد سكان المدينة آلهة محلية وأخرى خارجية، فقد عبدوا الإله كايليستس Caelestis ربة المطر والمخصبة للأرض،

والإله ساتورنوس Saturnus الإله الأكبر الذي أقاموا له المعابد وقدموا له القرابين والذي كان محل إقبال كبير من السكان ومن مختلف أرياف المدينة خاصة في المناطق التي تنتشر فيها حقول الحبوب وأشجار الزيتون و الكروم و الفواكه[26].

كما انشر في المدينة عبادة الإله مارس Mars اله الحرب الذي وضعت المدينة تحت رعايته، والإله جوبيتر Jubiter اله السماء والرعد و البرق المخصب للأرض والالهة كيرس Ceres ربة الحصاد ، كما عبد سكان المدينة آلهة شرقية مثل الإله هرقل Hercule إله الزراعة و التجارة و الحرب والإلهة ميثرا Mithra إلهة الشمس الفارسي، و الربة الأسيوية كيبال Cybéle ربة الخصوبة التي كان لها معبد بالمدينة والإله اتيس Attis إله النباتات[27] .

كانت مدينة سيتيفيس مركز مهم لنشر الديانة المسيحية ومركزا للأسقفية في موريطانيا السطايفية، وقد احتفظ لنا مورسولي morcelli في مؤلفة إفريقيا المسيحية L'Africa christiana باسم أسقف ستيفيس وهو سيفيروسseverus وذلك في حدود 400م أي قبل الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب، ونجد أيضا من أساقفة مدينة سيتيفيس الأسقف نوفاتوس[28] Novatus الذي حضر مؤتمر انعقد بقرطاج سنة 411م، وحضر في مجلس آخر سنة 419م[29] والذي يعتقد انه كان في اتصال دائم مع القديس اوغسطين ومن الشخصيات الدينية في مدينة سيتيفس نجد ايضا ماركينيوس(411)Marcianus ، لورانتيوسLaurentius(452) ، دوناتوس 484م Dounatus ، أوبتاتوس (525م) Optatus ، كريكيتوروس(القرن 6م) Cricitorus.....الخ [30]

يظهر من ذلك أن أساقفة مدينة سيتيفيس السابق الذكر قد تزامنوا مع القديس اغسطين الذي كان أسقفا وأحد رجال الدين البارزين في هيبون التي لا تبعد كثيرا عن مدينة سيتيفيس الأمر الذي يوحي بالتعاون بين أساقفة المدن الشرقية في حل المشاكل و الصراعات الدينية التي كانت تتخبط في المنطقة والثورات المورية وفي رد الحملة الوندالية على المنطقة .

ونظرا للدور الديني الكبير الذي لعبته مدينة سيتيفيس وسكانها في الفترة الرومانية المسيحية فقد أجريت عدة حفريات في المدينة فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر مع بداية القرن العشرين واستمرت بعد الاستقلال والى غاية سنة 1982م، وقد أسفرت هذه الحفريات عن العثور على مجموعة من القبور والنقائش الجنائزية والتي نشرها ماسيرا P.Massiera في مقال سنة 1935 عنون بنقائش موريطانيا السطايفية[31] ، ولكن هدف الفرنسيين من هذه الحفريات لم يكن علميا بحتا لكن الهدف كان البحث عن البقايا المسيحية في المنطقة حتى يتم نشر فكرة الانتشار المسيحي بين سكان المقاطعة السطايفية منذ القديم و تجذّر الديانة المسيحية فيها وإقناع السكان الجزائريين في الفترة الفرنسية بضرورة الرجوع إلى الدين المسيحي الذي كان عليه أجدادهم و التخلي عن الدين الإسلامي الدخيل عليهم .

5- نقوش إهدائية تخص الفترة الوثنية و المسيحية

تم العثور في مدينة سيتيفيس وفي المناطق القريبة منها على عدد من النقوش و الكتابات اللاتينية، ومن بين النقوش المحفوظة بعناية في كنيسة سطيف في العهد الاستعماري الفرنسي نجد نقش للشهيد القديس سانت لوران Saint laurent وقد ورد فيه :

IN HOC LOCO SANCTO DEPOS

ITAE SVNT RELIQVIAE SANCTI

LAVRENTI MARTIRIS DIE III M N

AVG CONS HERCVLANI V C

DIE DOMINI DEDICANTE LAVRENTIO

USP MOR DOMANP CCCCXIII. AMEN

" إيداع رفات الشهيد سانت لورانت في هذا المكان المقدس في يوم الأحد 03 أوت من سنة المقاطعة 413 تحت قنصلية هيركولانوس "

يظهر من خلال ذلك استمرار الديانة المسيحية في أوساط مجتمع مدينة سيتيفيس إلى غاية القرن الخامس، و المكانة الدينية الكبيرة التي كان يحظى بها رجال الدين في مدينة سطيف والدور الديني الذي كانوا يلعبونه في نشر المسيحية واستتاب الأمن في المدن و المقاطعات التي كانوا يشرفون عليها .

كما تم العثور على نقيشة أخرى تبين أن الديانة الوثنية كانت منتشر في مدينة سيتيفيس و المناطق المجاورة منها المحلية والأجنبية مثل عبادة الإلهة ميثرا Mithra أو اله الشمس و هو من الآلهة الكبيرة و المشهورة عند الفرس وهو موطنها

الأصلي، لكننا نجهل تاريخ الحجر الذي حمل هذه الكتابة هل كان ذلك قبل اعتناق الإمبراطورية الرومانية للمسيحية أم بعد ذلك .

DEO INVICTO MYTRE LEG II HERCULEA FEC.

COHS.X.ET.VII VOTVM. SOLVERVNT

L. A.

" رفع الفيلق الثاني الملقب بالهرقل هذا النصب التذكاري للإله الذي لا يقهر ميثرا mithra ، المجموعة العاشرة و السابعة ولقد حققوا رغبتهم طواعية "[32]

6- المواقع الأثرية القريبة من المدينة

تعتبر مدينة سيتيفيس من المدن الغنية بالآثار الرومانية حيث نجد فيها بقايا المدن الرومانية والقرى والحصون و القلاع والمقابر ، هذه البقايا منتشرة في كامل المقاطعة السطايفية حيث نجد حجارة كبيرة ثابتة في كل مكان تشكل زوايا المنازل وإطارات الأبواب مترابطة فيما بينها بأسوار وجدران كبيرة من الحجارة، حيث نجد أن مساحة المدن بها تزيد عن خمسين 50 هكتارا بعضها محاط بأسوار و البعض الأخر مفتوح، الأمر الذي يصعب علينا عملية البحث في تاريخ المدن وأدوارها الحضارية في التاريخ القديم .

هناك عدة أبحاث تاريخية وأثرية عن تاريخ سطيف ومن خلال تتبع مسار الطرق الرومانية في بلاد المغرب أشارت إلى وجود مجموعة من الطرق الرومانية التي كانت تربط مدينة سيتيفيس مع المدن الأخرى في كل من مقاطعة نوميديا وموريطانيا القيصرية منها من يأتي من مدينة سيرتا(Cirta) إلى سيتيفيس(Setifis) مدينة جميلة (Cuiculi)ذهابا إلى ميلة[33](Mila) ، هذا يدل على أهمية المدينة و النشاط الاقتصادي المهم الذي تلعبه بين مختلف المدن و المقاطعات الرومانية وذلك من خلال تزويدها بمختلف الحبوب و الزيوت والمنتجات الأخرى التي تشتهر بها مدينة سيتيفيس.

ونجد في طاولة بوتنجر La Table de Peutinger إشارة إلى وجود طريق يربط بين مدينة سيتيفيس وسيرتا وهو ربما نفسه الطريق الذي كان في عهد الأسرة الأنطونية في القرن الثاني للميلاد ، نجد أيضا في طاولة بوتنجر طريق يربط بين مدينة سيتيفيس و تبسة (theveste) دون أن يمر بمدينة سيرتا ونجد طريقا يربط مدينية سيتيفيس بكل من باتنة بجاية وجيجل ونجد طريقا بريا رئيسيا يربط بين قرطاج وقيصارية مرورا بسطيف[34].

وإذا قمنا بعملية إحصائية للمدن الهامة القريبة من مدينة سيتيفيس و التي لا تخرج من حدود المقاطعة السطايفية نذكر مدينة ميلاف مدينة جميلة كما نجد الكثير من المواقع الأثرية و الطرق البرية التي تربط بين مختف هذه المواقع و المدن مع مدينة سيتيفيس فنجد الكثير من المواقع داخل المقاطعة السطايفية فنجد طريقا يربط بين سيتيفيس وموقع أوزيا auzia رغم أنها كانت خارج نطاق حدود السطايفية، ويعتقد أيضا طريق يربط بين سيتيفيس و منطقة الحضنة عبر منطقة خربة القصر (تبعد حوالي 15كلم جنوب ولاية البرج) ونجد أثارا لموقع

تامالولا (برأس الواد حاليا) وهي تتوسط الطريق الذي يربط زابي التي تعتبر احد الممرات الهامة بسيتيفيس[35] .

7- خاتمة : في الأخير نخلص إلى مجموعة من النتائج منها :

الموقع الجغرافي والاستراتيجي لمدينة سيتيفيس جعلها محط أنظار و استقرار بشري منذ فجر التاريخ امتد إلى الفترة النوميدية والرومانية والى اليوم وهو دليل على أهمية المدينة في بلاد المغرب والدور الكبير الذي تلعبه في كامل المجلات السياسية و العسكرية الاقتصادية و الاجتماعية و الدينية .....الخ.

تأسيس وتطور المدينة كان مع بداية القرن الأول ميلادي واستمرت مع القرنين الثاني و الثالث مع سياسة الاستيطان البشري التي انتهجتها الإمبراطورية الرومانية في بلاد المغرب عرفت خلالها مدينة سيتيفيس توسع عمراني كبير شمل كامل المنشآت العمرانية الخاصة بالمدينة .

لعبت مدينة سيتيفيس دورا سياسيا وعسكريا كبيرا في استتاب الأمن و الاستقرار في المقاطعة السطايفية طيلة فترة الاحتلال الروماني واستمر هذا الدور في الفترة البيزنطية خاصة في فترة حكم الإمبراطور جوستينيان الذي أعاد بناء أسوارها وبعث الحياة فيها .

كانت المقاطعة السطايفية من أهم الأقاليم الاقتصادية في بلاد المغرب التي اهتمت بها السلطة الرومانية و البيزنطية وذلك لوفرت المنتجات الفلاحية من

حبوب وأشجار الزيتون و الكروم وما يؤكد ذلك معاصر الزيتون الخاصة والعامة المنتشرة في كامل أقاليم موريطانيا السطايفية .

عرفت مدينة سيتيفيس توافد بشري كبير عليها وذلك بسبب الأمن و الاستقرار الذي ساد المدينة و كذا الظروف و الإمكانيات الطبيعية التي تزخر بها المدينة فقد كانت أراضيها محط أنظار عدد كبير من الأباطرة و المستثمرين الرومان الذين عملوا على استغلالها في المجال الفلاحي.

من خلال المعبودات و الآلهة التي انتشرت في مدينة سيتيفيس نلاحظ إقبال كبير من طرف السكان لعبادة الآلهة التي لها علاقة بالجانب الفلاحي و الزراعي بالدرجة الأولى وهذا أمر طبيعي يؤكد لنا تطور النشاط الفلاحي و الزراعي الذي عرفته مدينة سيتيفيس والمناطق المجاورة لها أين تكثر الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة.

هذا ويبقى المجال مفتوحا للبحث في تاريخ المدينة و تطورها وفي الإجابة على كثير من النقاط التي تبقى مجهولة عن مدينة سيتيفيس ربما ستجيب عليه الأبحاث الاثرية و الحفريات التي ستكون في المستقبل .

8- الهوامش :

[1] Maurice Villard, Yves Bassard, les hauts plateaux sétifiens, leur histoire des temps immémoriaux a 1962, tome1, Sétif, p 12

[2] خديجة منصوري ، مستوطنة سيتيفيس في الفترة الرومانية "النشأة و النمو الاقتصادي" ، جامعة وهران، العدد15، 2001م، ص172 .

[3] Février paul-albert, Aux origines de l'occupation romaine dans les hautes plaines de Sétif, efr, 1996, pp725-740

[4] خديجة منصوري، مستوطنة سيتيفيس في الفترة الرومانية، النشأة والنمو الاقتصادي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد15 ،2001 ، جامعة منتوري، قسنطينة، ص 171-172

[5] Février paul-albert, Notes sur le développement urbain…op-cit,p677

[6] Armand C, Sétif et sa région, essai de monographie historique géologique et économique, les imprimeries gaballe, 1978. p 19

[7] فوزي هامل، الأمطار في الشرق الجزائري، مذكرة تخرج مهندس دولة في التهيئة الإقليمية ، جامعة قسنطينة، 1997م،ص17.

[8] Salama pierre, Occupation de la Maurétanie Césarienne occidentale sous le Bas-Empire romain, 1966, p 113

[9] منصوري خ، المرجع السابق،ص174

[10] يوسف عيبش، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في تاريخ وآثار المغرب القديم، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، 2007/2006. ،ص332

[11] Charles feraud, op-cit, p50

[12] Charles Diehl, Histoire De L'Afrique Byzantine, Domination Byzantine, 533- 709, L'académie Des Inscriptions et Bellusletikes, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1896, pp, 258

[13] Charles Diehl, op cit, pp 258 259.

[14] Charles feraud,op-cit,p50

[15] شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني : بحث في منظومة التحكم العسكري ، الليمس الموريطاني ومقاومة المور ، ديوان المطبوعات الجامعية ،1999م، ص363.

[16] Charles feraud, histoire des villes de la province de constantine, arnolet, constantine, 1872, p40.

[17] منصوري خ، المرجع السابق،ص 173

[18] نفسه، ص176

[19] Charles feraud, op-cit, p48

20-Charles feraud, op-cit, p49

[21] منصوري خ، مستوطنة سيتيفيس...، المرجع السابق، ص174.

[22] - عيبش ي، المرجع السابق، ص333

[23] خديجة منصوري، التطورات الإقتصادية لموريطانيا القيصرية أثنا الإحتلال الروماني، دكتوراه دولة، معهد التاريخ، جامعة وهران، 1996م، ص82.

[24] Hanoteau .L , Le tourneaux A,la Kabylie et les coutumes kabyles, paris 1873, V3, 2 ed , 1893.

[25]منصوري خ، المرجع السابق، ص 176

[26] M. Leglay, Saturne Africain, Histoire. Paris: De Boccard, 1966, pp.298, 403, id. Saturne Africains Monuments, II. Paris: CNRS, 1966, pp. 265-285

[27] منصوري خ، المرجع السابق، ص175

[28] تم العثور سنة 1853م بمدينة سطيف نص نقيشة ترثي أسقف سطيف كتب عليها " هنا يرقد الأسقف نوفاتوس الذي كان في هذا المركز المنصب لمدة سبعة وثلاثين سنة والذي توفي في العاشر من سبتمبر من عامنا سنة 401م".من خلال ذلك يمكن الجزم أن الأسقف نوفاتوس قد دفن في مدينة سطيف لكننا نجهل مكان وفاته هل كان بمدينة سطيف أم تم جلب رفاته إلى المدينة ودفن فيها ...انظر :

- Charles f,op-cit,p46

[29] Charles feraud,op-cit,p50

[30] - عيبش ي، المرجع السابق، ص333

[31] - P. Massiéra , Inscriptions de la Maurétanie sitifienne, BSHG Sétif, 1, 1935, p. 62

[32] Charles feraud,op-cit,p51

[33] Charles feraud,op-cit,p53

[34] Ibid ,p55

[35] - عيبش ي، المرجع السابق، ص328

9- قائمة المصادر و المراجع :

- المراجع العربية

- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني : بحث في منظومة التحكم العسكري ، الليمس الموريطاني ومقاومة المور ، ديوان المطبوعات الجامعية ،1999م.
- خديجة منصوري، التطورات الاقتصادية لموريطانيا القيصرية أثنا الإحتلال الروماني، دكتوراه دولة، معهد التاريخ، جامعة وهران، 1996م.
- خديجة منصوري، مستوطنة سيتيفيس في الفترة الرومانية، النشأة والنمو الاقتصادي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد15 ،2001 ، جامعة منتوري، قسنطينة.
- فوزي هامل، الأمطار في الشرق الجزائري، مذكرة تخرج مهندس دولة في التهيئة الإقليمية ، جامعة قسنطينة، 1997م.
- يوسف عيبش، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في تاريخ وآثار المغرب القديم، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، 2007/2006.

- المراجع الاجنبية

- Armand C, Sétif et sa région, essai de monographie historique géologique et économique, les imprimeries gaballe, 1978.
- Charles Diehl, Histoire De L'Afrique Byzantine, Domination Byzantine, 533- 709, L'académie Des Inscriptions et Bellusletikes, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1896.
- Charles feraud, histoire des villes de la province de constantine, arnolet, constantine, 1872.

Février paul-albert, Notes sur le développement urbain en Afrique du Nord. Les exemples comparés de Djemila et de Sétif, E.F.R, 1996.
- Février paul-albert, Aux origines de l'occupation romaine dans les hautes plaines de Sétif, E.F.R, 1996.
- Hanoteau .L, et Le tourneaux A, la Kabylie et les coutumes kabyles, paris 1873, V3, 2 ed, 1893
- Leglay M., Saturne Africain, Histoire. Paris: De Boccard, 1966, pp.298, 403, id. Saturne Africains Monuments, II. Paris: CNRS, 1966.
- Maurice Villard, Yves Bassard, les haute plateaux sétifiens, leur histoire des temps immémoriaux a 1962 ,tome1 , Sétif.
- Massiéra. P., Inscriptions de la Maurétanie sitifienne, BSHG Sétif, 1, 1935
- Salama p, Occupation de la Maurétanie Césarienne occidentale sous le Bas-Empire romain, 1966.